

التفسير المطول - سورة الرحمن 055 - الدرس 06-07: تفسير الآيات: 37-45- العاقل من يعدّ ليوم القيامة عدّته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 19-01-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الكون مُسَيَّرٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى:

أيها الإخوة المؤمنون: مع الدرس السادس من سورة الرحمن، ومع الآية السابعة والثلاثين وهي قوله تعالى:

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)

سورة الرحمن

أيها الإخوة؛ آيات كثيرة جداً ولاسيما في الأجزاء الأخيرة من القرآن تبين أن هذا الكون على نظامه الدقيق وتكوينه البديع مُسَيَّرٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، وبعد هذا الأجل تُكْوَرُ الشمس، وتنتشر الكواكب، ويسجّر البحر، وينتهي كل شيء.

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)

سورة يس

فالكون له نهاية.

العاقل من يعدّ ليوم القيامة عدّته:

نحن الآن في أثناء العام الدراسي، في دنيا التكليف، وهذا الكون الذي نَصَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ليكون دالاً عليه، مشيراً إليه، مجبّداً لأسمائه الحُسنى، مُظهِراً لكمالاته، فبعد أن تنتهي

الحياة الدنيا ويأتي يوم الدين انتهت وظيفة الكون، تقريباً كهذه الخرائط واللوحات والمجسمات التي تُعدُّ وسائل إيضاحٍ في العام الدراسي، فإذا انتهى العام الدراسي وبدأ الامتحان هذه الخرائط، وتلك اللوحات، وهذه المُجَسَّمات، انتهت وظيفتها، تطوى، وتودع في المستودعات، نحن في الحياة الدنيا والكون مسخرٌ لهذا الإنسان تسخيرَ تعريفٍ وتكريم، فإذا انقضت الحياة الدنيا انتهت مهمّة الكون.

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5)

سورة التكويد

إلى آخر الآيات.

لذلك أيها الإخوة هذا اليوم لا بدّ من أن يأتي، العاقل هو الذي يُعدّ لهذا اليوم عدته.

توازن الكون في الحياة الدنيا:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ هذا الاستقرار، هذا التوازن الحركي، كل كوكب يدور حول كوكب بمسار مُغلق، إهليلجي أو دائري، هذا الكون بمحصلة نظامه الدقيق يتحرك مع التوازن فليس هناك ارتطام ولا انحراف عن المسار لأن الله سبحانه وتعالى يقول: **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُنَّاهُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41)**

سورة فاطر

والزوال هو الانحراف، ولا شك في أن صلاة الظهر تقع بعد زوال الشمس عن كبد السماء، أي بعد انحرافها.

قدرة الله في مسك السماوات والأرض:

ذكرت قبل أيام في ندوة أن الأرض تتطلق حول الشمس في مسارٍ مُغلق، ومسارٍ إهليلجي -بيضوي- له قطران أعظمي وأصغري، فحينما تقترب الأرض من القطر الأصغر يزداد جذب الشمس لها، وحينما يزداد جذب الشمس لها رُبما تخرج عن مسارها وترتطم بالشمس، لذلك هذه الأرض الجامدة تزيد من سرعتها -والزيادة يسميها الرياضيون التسارع- تزيد من سرعتها زيادةً بطيئة لئلا ينهدم كلُّ ما عليها، تزيد من سرعتها لينشأ من هذه الزيادة قوةً جديدةً نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فحينما تصل الشمس إلى القطر الأبعد -الأعظم- يُحشى أن يضعف جذب

الشمس لها فتتحرف عن مسارها وتغوصُ في أعماق الفضاء وتبتعد عن أشعة الشمس وتدخل في متاهات الفضاء فتبرد الأرض إلى درجة الصفر المطلق، مئتان وسبعون درجة تحت الصفر، وفي هذه الدرجة تتوقف حركة الذرات حول النترونات، ومع توقف هذه الذرات تنعدم المادة، فبلاغة القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ إن انحرفت عن مسارها زالت، غابت عن طاقة الشمس، الشمس تمدها بالطاقة، فإذا ابتعدت إلى درجة الصفر المطلق تلاشت المادة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾.

انتهاء مهمة النظام الكوني يوم القيامة:

طبعاً حينما يأتي يوم القيامة لا جدوى من بقاء الأرض، ولا من بقاء الشمس، ولا من بقاء النجوم، وكل هذا النظام الكوني تتقوَّض دعائمه، وتنتهي مهمته، ويأتي عالمٌ جديد عالم الجنة والنار.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ فكانت حمراء كالوردة، سائلة كالدهان، والآن في باطن الأرض نواة الأرض سائلة وحارة كالزيت المغلي، فربنا عز وجل بوصفٍ دقيقٍ موجزٍ بليغٍ جامعٍ مانعٍ يصوِّر نهاية الكون، كتلٌ سائلةٌ ملتهبةٌ حمراء كلون الورد، سائلةٌ كالزيت: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكذِّبَانِ (38)﴾.

خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط:

عندئذٍ هل يستطيع الإنسان أن يكذب يوم الدين؟ أي حينما يكتب على السبورة مثلاً أن هناك مذاكرة رياضيات صباح الأحد، وبعض الطلاب يُشكِّك في هذا الإعلان على السبورة، لعله بخط الأستاذ، لعله من خط طالبٍ أراد أن يُداعب الطلاب، يا ترى هل تجرى هذه المذاكرة؟ يُشكِّك، أما إذا دخل المدرس وقال: افتحوا الأوراق واكتبوا الأسئلة هل هناك مبرر للشك بهذا الوعد؟

لذلك هذا الكلام أيها الإخوة ينقلنا إلى كلامٍ خطيرٍ أي أنت مخير، ومع أي موضوع، ومع مليون موضوعٍ مخيرٍ خيار قبول أو رفض، لو عرضنا عليك بيتاً تشتري هذا البيت أو لا تشتريه، لو خطبت لك أمك فتاة تقبل بها أو لا تقبل بها، لو عرضنا عليك تجارة توافق عليها أو لا توافق، لو جاءك سفرةٌ إلى بلدٍ آخر تدرس الدخل والإقامة والتعويضات، فتوافق

أو لا توافق، أنت مع مليون موضوع مخير تخيير قبول أو رفض، إلا مع الإيمان، خيارك خيار وقت فقط، وهذه أخطر فكرة، أي شئت أم أبيت لابد من أن تؤمن.

الندم لمن يؤمن بعد فوات الأوان:

الذي رفض الإيمان وقال:

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)

سورة النازعات

وقال:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)

سورة القصص

والذي قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ هل هناك كلام أشد كفرًا من هذا؟ هذا فرعون نفسه حينما أدركه الغرق قال:

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ النَّجْرَ فَأْتَبَعَهُمُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

سورة يونس

نحن لسنا مخيرين أن نؤمن أو ألا نؤمن، أن نقبل أو ألا نقبل، أن نعتقد أو ألا نعتقد، نحن مخيروا متى نؤمن، إما أن نؤمن في الدنيا فننتفع بإيماننا، وإما أن نؤمن بعد فوات الأوان، لابد من أن تعرف جواب هذا السؤال، فإما أن تعرفه قبل الامتحان فتتجح، وإما أن تعرفه بعد الامتحان فيزداد الندم، ولات ساعة مندم.

الإنسان العاقل من يعرف الله في شبابه:

أيها الإخوة؛ هذه الفكرة أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون واضحة في أذهانكم: خيارك مع الإيمان ليس خيار قبول أو رفض، خيار وقت.

وهناك مثل أقرب؛ تجد الشاب الشارد عن الله عز وجل يعتقد اعتقادات فاسدة، يؤمن بنظريات لا أصل لها، يتحمس إلى الدنيا، ينكب عليها بكل طاقته، فإذا بلغ الأربعين وتجاوز الخمسين اعتدل، شعر بدنو أجله، بدأ يُصَلِّي، أي إذا ما صار الندم الشديد عند الموت هناك ندم

قبل الموت، فالبطولة أن تعرف الله في وقتٍ مُبَكَّرٍ، أن تعرف الله قبل أن تتزوج كي تختار شريكة حياتك مؤمنةً تعينك على دينك، أن تعرف الله قبل أن تعمل كي تختار عملاً يتوافق مع مبادئك، أن تعرف الله قبل أن تقيم شبكةً من العلاقات حتى إذا عرفت الله رأيت نفسك مربوطاً مع هذه العلاقات، فالبطولة أن تعرف الله في الوقت المناسب، وأفضل وقت مناسب في شبابك، وهذا الحديث الجامع المانع الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن عباس قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجلٍ وهو يَعِظُهُ : **اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ**: شِبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفِرَاقَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.

أخرجه المنذري الترغيب والترهيب إسناده صحيح أو حسن
الإنسان في شبابه لا يشعر بشيء اسمه قلب، ولا ضغط، ولا ضيق شرايين، ولا شريان مسدود، ولا قسطرة، ولا تغيير دَسَامٍ، يتحرك كالحصان، وفي شبابه لا يوجد عنده ألم مفاصل، ولا يوجد عنده ارتفاع نسب الأسيديك، ولا يوجد عنده ارتفاع معين، لا يُلقَى بالآ إلى صِحَّتِهِ، ولا إلى نسب تراكيب دمه، ولا إلى عمل أجهزته، كتلة حيوية ونشاط، هذه المرحلة هذه استغلها في معرفة الله، والإقبال عليه، والأعمال الصالحة، وطلب العلم، **((اغتنم خمساً قبل خمس...))**، يأتي وقت المرض يغلب، **((شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك))** الإنسان إذا جاءه مرضٌ عُضَالٌ هذا المرض يُغشِّي على بصيرته، ويعمي عينيه، ولا يفكر إلا به، فإذا كنت معافى وكنت شاباً، **((وفراقك قبل شغلك))** معك في بداية الحياة وقتٌ طويل، لكن بعد الزواج والأولاد، وتزويج البنات والأعمال، وتعقيب الأعمال، تجد نفسك تعمل بشكلٍ إجباري، من عمل إلى عمل، من لقاء، لحل مشكلة، لمشكلة ابنتك، وابنك، وأولادك، وعملك، والديون، أعمال كلها متتابعة لا تجد وقتاً كافياً لمعرفة الله فاعتنم فراغك قبل شغلك، أحياناً تأتي الهموم والمشكلات على الإنسان لا يجد وقتاً ليفكر في ربه: **((اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراقك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك))**.

ندم الإنسان بعد فوات الأوان لا يفيد شيئاً:

النبي عليه الصلاة والسلام كان من دعائه أن يكون خير رزقه في آخر عمره، أحياناً الإنسان وهو في بحبوحة في شبابه، المال بين يديه ينسى أن يتصدق، ينسى أن يدفع زكاة ماله، ينسى أن يُنفق من هذا المال، فإذا عرف قيمة إنفاق المال قلَّ المال بين يديه، هذا الدخل لا يكفي طعامه وشرابه، أتى له أن ينفق؟ أتى له أن يتصدق؟ أتى له أن يعاون؟ فاعتنم غناك قبل فقرك، واعتنم حياتك قبل موتك.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ
كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

سورة المؤمنون

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ (18)

سورة الحشر

فحينما قال الله عزَّ وجل: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)﴾ في بعض البلدان إذا الإنسان خالف بعض التوجيهات كان يُهدم بيته،
فلو جاءه إنذار يا ترى يفعلونها؟ لا يفعلونها؟ لو أنهم جاؤوا وهدموا البيت، بعد هدم البيت
أيستطيع صاحب البيت أن يشكك في هدم البيت؟ انهدم وانتهى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)﴾.

من يدخل الآخرة في حساباته اليومية يلق الله وهو عنه راض:

إخواننا الكرام؛ بصدق صادق، الذي يتعامل مع الآخرة تعاملاً جدياً قلائل، الذي
يُدخل الآخرة في حساباته اليومية، في كل كلمة يقولها، في كل نظرة ينظرها، في كل كلمة
يسمعها، في كل حركة يتحركها، في كل عطاء، في كل أخذ، في كل غضب، في كل رضا، في
كل صلاة، في كل قطيعة، هذا الذي يتعامل بوحى الآخرة، هذا النمط قليل في المجتمع، النمط
السائد يعيش لحظته، يعيش وقته، نعيش لنأكل ونشرب، أما البطل:

ليس من يقطع طرقاتاً بطلاً إنما من يتقى الله البطل

ابن الوردي

* * *

البطل الذي يقرأ هذا المنهج، ويطبّق هذا المنهج على حياته اليومية، وعلى أخذه
وعطائه، وعمله ودخله وحركته، حتى يطمئن إلى أنه مطيع لله عزَّ وجل، فإذا جاء الأجل بغتةً
لقى الله وهو تائب إليه.

الموت عرس المؤمن:

مثلاً - وهذا شيء افتراضي - لو قيل لك: موعد إقلاع الطائرة بين الساعة الثامنة
صباحاً والساعة الثامنة مساءً، وفي أية لحظة نتصل بك عليك أن تخرج من بيتك فوراً وإلا

ضاعت عليك هذه السفارة، فإذا كنت لا تعلم متى يتصلون بك، ماذا تفعل؟ تهيبُ نفسك من أول الوقت، أسعد الناس من هو جاهزٌ للقاء الله عزَّ وجل في أي وقت، كل شيء واضح، كل شيء مُبَيَّن، علاقاته واضحة، دخله حلال، إنفاقه حلال، بيته إسلامي، عمله إسلامي، ضبط جوارحه، ضبط دخله، ضبط إنفاقه، ضبط أجهزته، وأعضاءه، وبناته، وشبابه، وزوجته، ضبط كل شيء، فإذا جاء الأجل: مرحباً بقاء الله عزَّ وجل، ورد أن الموت تحفة المؤمن، وأن الموت عُرس المؤمن، وأن المؤمن الصادق حينما يأتيه الأجل يدخل في سعادة لا توصف، إنسان له زوجة ضغطت عليه في أشياء شأنها كشأن كل الزوجات، قال لها: اعلمي أيتها المرأة أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلَب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحى بك من أجلهن أهون من أن أضحى بهن من أجلك.

على الإنسان أن يقوم بأعمال يعود خيرها عليه بعد انقضاء الوقت:

إخواننا الكرام؛ لا تتراح حقيقةً إلا إذا نقلت اهتماماتك إلى الدار الآخرة، لأن الوقت، أنت وقت، أنت بضعة أيام بأوضح التعاريف، بأدق التعاريف، بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منك، فأنت زمن، وهذا الزمن له إنفاقان، إنفاق استهلاكي وإنفاق استثماري، الإنفاق الاستهلاكي أن تمضيه في المباحات، دعك من المعاصي والآثام؛ بالمباحات؛ أكلت، وشربت، ونمت، وتترهت، وسهرت، وضحكت، إلى أن جاء الأجل تأتي يوم القيامة صفر اليمين، هذا الوقت ينبغي أن تتفقه استثماراً، أي ينبغي أن تفعل فيه عملاً يعود عليك خيره بعد انقضاء الوقت، لذلك أخطر شيء بسورة الفجر:

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)

سورة الفجر

على الإنسان أن ينتبه إلى نعم الله لأنها سبب سعادته أو شقائه:

أعطاه المال، أعطاه صحةً، أعطاه بيتاً، أعطاه زوجةً، أعطاه أولاداً، أكرمه ونعمه، فيقول هو جهلاً: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ لا، هذا ليس إكراماً، هذا ابتلاء، فنعمة المال كيف توظفها؟ إن وظفتها في أعمالٍ صالحة فعلاً المال نعمة لأنه سبب سعادتك في الجنة، الزوجة إن دللتها على الله وأخذت بيدها إلى الله فعلاً نعمة، لأنها سبب دخولك الجنة، وكم من زوجة تُرضي زوجها أشدَّ الإرضاء وهي سبب دخوله النار، لذلك كانت بعض الصحابييات يودَّعن أزواجهن قبل أن يذهب إلى عمله تقول له: "يا فلان اتق الله بنا فنحن بك وإليك، نصبر على الجوع ولا نصبر على

الحرام" فكيف بامرأة لا تزال تُلحُّ، ولا تزال تملأُ سمع زوجها بطلباتها غير المتناهية إلى أن تحمله على كسب المال الحرام فتكون سبباً في دخوله النار .

الرجال قوامون على النساء :

الإنسان إذا أساء لأهله، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ
غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

سورة التحريم

إن أساء إلى أهله فأبقاهم على جهلٍ، ما عرفهم بربهم، ما أمرهم بالصلاة، ولا حصَّهم عليها، ولا سألمهم عن فقهم ولا عن علمهم، قال: هؤلاء الأهل إذا شردوا وانحرفوا موقفهم يوم القيامة أن تقول البنت لربها: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه كان سبب شقائي، الأبوة مسؤولية، فكل إنسان يوجد عنده ضمن بيته قبل أن يتطَّع إلى هداية الآخرين، كل إنسان لو اكتفى بهداية أولاده وبناته وزوجته لكننا في حالٍ غير هذا الحال، يغضب للعالم ولا يغضب إن انتهكت حرمة من حرمت الله، يغضب لأن الطعام ليس جاهزاً، لكنه لا يغضب إذا رأى ابنته في وضعٍ لا يُرضي الله عزَّ وجل، يقول: ماذا أفعل؟ الله يصلحها، وهو الأب، وهو الذي جعله الله قِيُوم هذه الأسرة، الرجال قوامون على النساء .

من أكبر المصائب أن يعتني الإنسان على جهلٍ فيطغى بهذا المال:

إذا أيتها الإخوة؛ حينما قال الله عزَّ وجل: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)﴾ ذكرت قبل قليل أن المال لا يُسمى نعمةً إلا إذا أنفق في طاعة الله، هو ابتلاءٌ، هو عطاءٌ موقوفٌ على نوع استخدامه، إن أنفق في طاعة الله سمي نعمةً، أما إذا أنفق في المعصية سمي نعمةً ونعمةً، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم عدَّ الغنى المُطغى من أكبر المصائب، من أكبر المصائب أن تغتني على جهلٍ فتطغى بهذا المال:
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (6) أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى (7)

سورة العلق

إن رأى نفسه استغنى وأصبح قوي المركز لكثرة ماله، أو لكثرة من حوله من أعوان

عندئذٍ يطغى.

قال:

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)

سورة الرحمن

طبعاً هذه الآية تضعنا في سؤال كبير، كيف نوفق بينها وبين قوله تعالى:

فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

سورة الحجر

وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)

سورة الصافات

آيات كثيرة تبين أن الله سبحانه وتعالى يسأل عباده عن أدق أعمالهم، عن كل

أعمالهم، والآيات كثيرة:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الزلزلة

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ: آية لها عدة معان:

المعنى الأول: عدم السؤال يكون أحد ألوان التعذيب:

كيف نوفق بين هذه الآية وبين تلك الآيات؟ قال بعض العلماء: أحياناً إذا أُوقِفَ الإنسان وبقي أياماً دون أن يُسأل يزداد ألمه، فعدم سؤاله وعدم معرفة سبب توقيفه هذا مما يزيد ألمه، فقال بعض العلماء: هؤلاء الكفار ينتظرون وينتظرون وينتظرون إلى أن يلحوا على ربهم أن يسألهم، وأن يحاسبهم، فهذا معنى، هذا معنى قاله أحد العلماء؛ ابن القيم.

المعنى الثاني: لمجرد أن يُسأل الإنسان يعطى فرصة كي يعتذر:

يوجد معنى آخر أن يوم القيامة مديد، فيه مراحل مراحل، هناك مرحلة فيها سؤال، سؤال دقيق، وحساب دقيق، وهناك مرحلة تنتهي المحاكمة ويصدر الحكم، فليس هناك سؤال، انتهى السؤال.

المعنى الثالث: الله سبحانه وتعالى حينما يسألهم كأنه يسمح لهم أن يعتذروا:

يوجد معنى آخر، المعنى الثالث هو أن الله سبحانه وتعالى حينما يسألهم كأنه يسمح لهم أن يعتذروا، إنهم وصلوا مع الله إلى طريقٍ مسدود، أحياناً مجرد السؤال، لماذا فعلت كذا؟ كأنك تسمح له أن يعتذر، أما هذا الإنسان انتهى أمره وحكم عليه بالنار، فلا معنى لسؤاله، الإنسان حينما يرتكب جريمةً يسأله القاضي عن الدوافع، وعن الملابسات، وعن، وعن، أما إذا اقتنع القاضي أنه قاتلٌ عمداً، وليس هناك أسباب مخففة، يصدر حكمه بالإعدام، وحينما تُدرس إضارته في أعلى محكمة محكمة النقض، ويُرى أن القاضي الذي حكم هذا الحكم مصيبٌ في حكمه يصدّق هذا الحكم، فإذا نُقلت هذه الإضارة إلى رئاسة الجمهورية وصدّق عليها، ثم انتقل هذا المجرم إلى تنفيذ حكم الإعدام، قبل أن يشنق هل يسأل لماذا فعلت هذا؟ ولا سؤال، انتهى السؤال، السؤال أثناء المحاكمة، أما حينما اقتنع القاضي أنه قاتلٌ عمداً، واقتنع رئيس محكمة النقض أن حكم القاضي صحيح، وصدّق الحكم في أعلى مستوى، وسيق للإعدام، فلا سؤال هنا، السؤال لا معنى له إطلاقاً، فلأن يوم القيامة يومٌ مديد، في مرحلة يوجد حساب، يوجد سؤال، في مرحلة يوجد حكم قطعي، في مرحلة انتهى الحكم، بقي التنفيذ.

سؤال الكفار يوم القيامة عن أعمالهم السابقة سؤال توبيخ لا سؤال استعلام:

إذاً المعنى الأول: عدم السؤال قد يكون أحد ألوان التعذيب، عدم السؤال. المعنى الثاني أنه لمجرّد أن يُسأل يعطى فرصة كي يعتذر، القضية انتهت، ليس هناك اعتذار، لذلك قال بعض المفسرين: إن سأل الله العبد يوم القيامة عن أعماله السابقة فهذا السؤال سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، ليس ماذا فعلت؟ لماذا فعلت؟ فرقٌ كبير، ماذا فعلت؟ سؤال استعلام، لكن لماذا فعلت؟ سؤال توبيخ، لما النبي عليه الصلاة والسلام أوحى الله إليه أن أحد أصحابه، حاطب بن بلتعة، أرسل كتاباً إلى قريش يقول فيه: "إن محمداً سيغزوكم فخذوا حذرکم"، وأرسل النبي عليه الصلاة والسلام سيدنا علياً مع صاحبٍ آخر إلى مكان اسمه: الروضة، بين مكة والمدينة، وأخذوا الكتاب من المرأة وجاؤوا به إلى النبي، فقرأه النبي، استدعى حاطباً، الآن النبي عليه الصلاة والسلام سيسأل حاطباً عما فعل أم لماذا فعل؟ قال له: يا حاطب ما حملك على ما فعلت؟ ما سأله سؤال استعلام، الوحي أعلمه، ولكن سأله سؤال توبيخ، إذاً إذا قلنا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ لا يُسأل لأنه لا مجال لتغيير الحكم.

إذا قلنا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ لا يُسأل لأنه لا مجال لتغيير الحكم، لأنه لا يُعطى هذا الإنسان فرصةً ليعتذر، كل شيء تمَّ بأدق مستويات العدالة، هذا معنى.

المعنى الثاني: عدم سؤاله نوعاً من أنواع العقاب.

المعنى الثالث الذي ذكرته أنه لا يُسأل بعد أن سُئل وصدر عليه الحكم بإدخاله

النار.

المعنى الرابع: النار نهاية العاصي:

يوجد معنى آخر قاله بعض العلماء: الإنسان حينما يرتكب جريمةً فظيعة يستحقُّ بها الإعدام، وعليه ذنوبٌ كثيراتٌ صغيرات، كأن يكون عليه مخالفة سير، محكوم بالإعدام، أعتقد أنه لا يُحاسب على مخالفة السير لأنه سيُعدم بعد قليل، وهذا معنى آخر: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(40)﴾.

عرض أعمال الإنسان عليه يوم القيامة حركة حركة:

هناك شيء آخر: أحياناً عندما يُخالف الإنسان الأنظمة، الآن توجد أجهزة حديثة جداً تلتقط له صورة المخالفة، فأحياناً تأتي ورقة إلى البيت أنك خالفت، الشيء المألوف أنك تقول: لا أنا لم أخالف، أنا لم أكن في هذا الوقت في هذا المكان، هذه مخالفة فيها افتراء، يصير هناك مناقشة، أما الأجهزة الحديثة فتقدّم له صورة سيارته بسرعه المتجاوزة، ولون سيارته، والمكان والزمان والوقت، تفضل، هذه الصورة مُسَكِّتة لا يوجد معها سؤال، أحياناً يسألوك: لا كنت، لا لم أكن، لا تكلمت، لا لم أتكلم، أما إذا قُدِّمت لك الصور انتهى السؤال، هذه أدلّة دامغة، لعلّ الله سبحانه وتعالى يعرض على الإنسان يوم القيامة أعماله كلّها كشرط منذ أن خلقه وحتى توفاه حركة حركة، فعل، ترك، اقترب الفاحشة، أكل المال الحرام، احتال على الناس، اعتدى على أعراضهم، على أموالهم:

أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)

سورة الإسراء

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت:

مرّة سمعت بالحرب العالمية الثانية في بلد أوروبي العادة عندهم أن الإنسان تُعرض عليه ذنوبه، ويُطلب منه أن يَحْكُم على نفسه، فعرضوا على ضابط خيانتة، عُرضت عليه ذنوبه، هذه في ألمانيا، فقيل له: ماذا تحكّم على نفسك؟ أخرج مسدساً وأطلق على نفسه الرصاص: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ لذلك: إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أهون عليّ مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب، فعندما تتحسر عن الإنسان شهواته، وتتحسر عنه أمواله، ومكانته، ورغباته، ويبقى مع ذنبه وجهاً إلى وجه شيء لا يُحتمل، يجب على الإنسان من حينٍ إلى آخر أن يتبع جنازة، الموت لم يدخل إلى حياتنا بدقّة، هذا المتوفى إنسانٌ مثلنا، كان قبل أيام بيننا، فُتِحَ النعش، حُمل الميت، وُضِعَ في هذه الحفرة، أهيل عليه التراب وعاد أهله إلى البيت، هل يستطيع أحدٌ ممّا أن ينجو من هذه الحادثة؟ أبداً، مهما اعتنى بالبيت لا بدّ من أن يُعَسَّلَ في أحد غرف البيت، إذا المطبخ واسع ففيه يغتسلونه، إذا الحمام واسع ففي الحمام، لم يكن فيغسلوه في غرفة، وقد لا يُعَسَّلَ في البيت، في المستشفى، وقد لا يوجد له أثر، إذا كان في طائرة واحترقت لا يوجد أثر، مات جميع ركّابها، فهل يوجد أحد ينفذ من الموت مهما علا شأنه؟ كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلة حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة
فاعلم بأنك بعدها محمول

كعب بن زهير

* * *

العاقل من يعدّ ساعة الحساب عدّتها:

والله الإنسان من علامة توفيقه أن يفكّر في هذه الساعة تفكيراً ملياً ؛ يُعد لها التوبة، يُعد لها العلم، طلب العلم، العمل الصالح، إنفاق الأموال، خدمة الخلق، الذكر، التسبيح، يُعد لها الأعمال الصالحة هذا يوم لا بدّ من أن يأتي.

أنا لا أبتعد عن واقعنا كثيراً، هذا المسجد المتواضع خلال عشرين عاماً كم شخصاً من إخواننا غادرنا؟ والله كل أسبوعين يوجد شخص تقريباً أليس كذلك؟ نحن مخلدون؟ لا والله،

ملك الموت الآن تخطأنا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، يوجد أشخاص يشتركون قبراً في حياتهم، أنا أفضل الواحد إذا اشترى قبراً أن يطلع إليه، هنا المصير.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)

سورة الحشر

على الإنسان أن يلقى الله بعمل صالح يقربه إليه:

لا يليق لإنسان من رواد المساجد يقول: أنا لا أزني، لا أشرب خمرًا، أنا لا أكل ما لا حراماً، هذه ابتدائي، أنت الآن في الجامعة السؤال: ماذا قدمت لله؟ بماذا خدمت المسلمين؟ تعلمت علماً؟ ساهمت في بناء مسجد؟ في بناء ميتم؟ في بناء دار رعاية؟ في بناء مدرسة شرعية؟ أنفقت على طالب علم؟ عملت شيئاً تُقدِّمه لله عزَّ وجل؟ ماذا فعلت؟ لا صدقة ولا جهاد فبم تلقى الله إذاً؟ إذاً:

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40)

سورة الرحمن

المجرم وجهه أسود يوم القيامة:

ومن تفسيرات قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أنه:
يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41)

سورة الرحمن

المجرم ظاهر.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)

سورة آل عمران

المؤمن وجهه متألّق ينظر إلى الرحمن يوم القيامة:

المسلم المؤمن.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)

مُتَأَلِّقٌ، وَجْهٌ أَبْيَضٌ مُتَأَلِّقٌ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ (42)

سورة عبس

فالكافر وجهه أسود، فأحياناً شخصان متشابهان يُقال لهما: من الناجح منكما؟ أما

إذا الناجح معه جلاءه ومكتوب بالقلم العريض: ناجح، السؤال ليس له معنى.

المجرم والبريء يُعرفان يوم القيامة من قسامة وجههما:

من معاني قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾، لأنه: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ مرّة كنت عند صديق لي، محقق بالقصر العدلي، يحقق في جريمة قتل، وهذا الذي يُحقق معه نظره إلى الأرض كالحال الوجه، دخل فجأة شابٌ متألق الوجه، فسأله وكلمه، هو قريب القاضي كلّفه بعمل، قلت: سبحان الله! البريء معروف، المتهم واضح من وجهه، من انكسار بصره، من قسامة وجهه، من الغبرة التي على وجهه، من اسوداد وجهه، والبريء وجهه متألق.

فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ: آية لها عدة معان:

1 . الكافر إما أن يُساق من شعر مقدّمة رأسه:

إذاً فيومئذ:

يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41)

سورة الرحمن

قال: هؤلاء المجرمون يؤخّذون بالنواصي والأقدام، الناصية شعر مقدّمة الرأس،

والرأس مكان تكريم الإنسان، فإذا جرّ الإنسان من شعر رأسه فهذه إهانةٌ ما بعدها إهانة.

2 . أو يساق من قدميه:

أما إذا جرّ من قدميه على رأسه فهذه إهانة أشد.

3. أو يُجَمَعُ رَأْسُهُ إِلَى قَدَمِيهِ وَيُلْقَى فِي النَّارِ:

أما إن جُمع رأسه إلى قدميه ورُبط وأُلقي في النار، العلماء لهم ثلاثة آراء في تفسير هذه الآية: إما أن يُجَمَعُ رأسه إلى قدميه ويلقى في النار، وإما أن يُساق من شعر مقدّمة رأسه، وإما أن يُساق من قدميه: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَيَأْتِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42)﴾.

جهنم يراها الكافر رأي العين:

الآن أكثر الناس أي حديث عن جهنم، عن الآخرة، عن الموت، يزورون منه، يتأفون منه، دعك من هذا الحديث، حدّثه عن أسعار العملة، عن البيوت، عن المقاصف، فيلات، شركات مساهمة، تجارات، سياحة، رحلة، تجد أن لعبه يسيل، أما إذا حدّثته عن شيء بعد الموت فإن قلبه يزداد انقباضاً، أما الذي يقول: أنا مؤمن بالآخرة لكن لا يعمل لها هذا مكذب، فالله سبحانه وتعالى يقول:

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43)

سورة الرحمن

يرونها رأي العين.

المؤمنون يُطلون على النار دون أن يتأثروا لتزداد سعادتهم في الجنة:

إخواننا الكرام؛ أي شيء قاله الأنبياء والرسل، أي شيء ورد في هذا القرآن وفي سنة النبي العدنان، هذا الشيء سوف نراه جميعاً رأي العين، لذلك من بعض ما ورد من تفاسير حول قوله تعالى:

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71)

سورة مريم

حتى المؤمنون يُطلون على النار دون أن يتأثروا ولا بوهجها لتزداد سعادتهم في الجنة، أي أيها المؤمن لو لم تؤمن في الدنيا، لو لم تستقم لكان مكانك هنا، لأن المؤمن إذا رأى مكانه في النار لو لم يؤمن لتضاعفت سعادته في الجنة، أنا أضرب مثلاً: شريكان اقترح أحدهما التعامل مع بضاعة ممنوع التعامل بها، فالأول رفض والثاني أصر، ففُسِخَت الشركة، الثاني الذي أصرّ تعامل مع هذه البضاعة ثم ضُبط بالجُرم المشهود، وألقي القبض عليه، وأودع في السجن، فذهب الشريك الأول ليزوره في السجن، هو في الظاهر يزوره، أما في الباطن فيشكر الله

عزّ وجل على أنه اتخذ قراراً حكيماً برفضه هذه البضاعة، وهو في السجن يزداد قناعةً بصواب قراره، ويزداد سعادةً بحسن تصرفه، أما في الظاهر فيزوره في السجن، فعندما يرى الإنسان مكانه في النار لو لم يؤمن هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

ورود النار شيء ودخولها شيء آخر:

الورود شيء والدخول شيء آخر، دخول النار عقاباً، أما ورودها فليس عقاباً ولكن اتعاضاً، وقد يرى هؤلاء الذين ظلموهم في الدنيا، أحياناً شريكاً واحداً لا يوجد عنده دين، ظالم، يرى عدل الله عزّ وجل، قال:

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)

سورة الصافات

فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)

سورة الصافات

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ الإنسان حينما يضجر من شدة الحر، ومن لهيب النار، ومن عذاب جلده المحترق يضجر فيستغيث، فهؤلاء:

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)

سورة الكهف

هذا هو المعنى.

يطوف المجرم يوم القيامة بين جهنم وبين شراب كالزيت المغلي:

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ أي بين جهنم وما فيها من شدة الحريق، وبين شراب كالزيت

المغلي:

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنْ (44)

سورة الرحمن

في أعلى درجات حرارته:

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنْ (44)

سورة الرحمن

لذلك قال أحد الأئمة: عثرت على حديثٍ جمع علم الأولين والآخرين، هذا الحديث: "اتقِ النار بقدر صبرك عليها، واعمل للعالم بقدر بقاءك فيها، واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها، واتقِ الله بقدر حاجتك إليه".

آمال الإنسان تنتهي بلحظة لأنه مملوك لا مالك:

لو فرضنا بلداً لها نظام خاص في الإيجار، في بعض البلاد مالك البيت لمجرد أن يطلب من المُستأجر أن يخرج فعليه أن يخرج، ولا كلمة، بلا إنذار، لو فرضنا شخصاً مستأجراً، وله دخلٌ كبير، كل هذا الدخل أنفقَه على تزيين بيته المُستأجر؛ غير السقف، الجدران، الأبواب، التزيينات، ومالك البيت في أية لحظة يُعطيه أمراً بالخروج، لسكن هذا البيت دارٌ يملكها ولكنها بعيدة، خربة؛ بلا سقف، بلا نوافذ، بلا أبواب، بلا أرض، فهل من العقل أن يُنفق كل دخله على تزيين بيتٍ مُستأجرٍ يَغارده في أية لحظة وأن يُهمل بيته الأساسي الذي سيؤول إليه شاء أم أبى؟ هذا ما يفعله الناس، كل مكتسباتهم في الدنيا، يريد فيلا ومسبح، يريد مكاناً على البحر، يريد أحدث مركبة، ولكن إلى متى؟ كل مكتسباته في هذه الأشياء، لا عرف الله، ولا صلى، ولا استقام، ولا غضَّ بصره، ولا حرَّ دخله، وفي أية لحظة يقف قلبه فجأةً، أي كل آمال الإنسان أساسها سيولة الدم في الدماغ ولو كنت ملكاً، دمٌ تجمد في الدماغ انتهى كل شيء، فهل أنت مالكٌ أم مملوك؟ مملوك.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)

سورة آل عمران

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)

سورة الملك

طاعة الله خير للإنسان من نكائه وماله:

لا تملك شيئاً، ولا تملك أن تبقى في مكانك ولا دقيقة، الإنسان يكون عقله برأسه، تكلم لي شخص عن رجل فقد عقله مؤقتاً، باع كل أمواله بثمنٍ بخس، والآن لا يملك درهماً في الحياة، رجع إليه عقله، أي المرض جاء وذهب، جاء فباع كل أملاكه ولا يعرف أحدٌ كيف أنفقها والآن لا يملك بيتاً يسكنه، ولا تملك عقلك، وإذا الإنسان فقد عقله أولاده يتوسطون لدى أعلى مستوى بمحلٍ في مستشفى الأمراض العقلية لأبيهم الذي اشترى البيت، وجهزه لهم، فأنت لا تملك

شيئاً، لا تملك إلا أن يرحمك الله عزّ وجل، ومع الله عزّ وجل لا ينفعك ذكاؤك، ولا ينفعك مالك، ولكن تتفعل طاعتك له.

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)

سورة الأحزاب

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنْ (44)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45)

سورة الرحمن

والحمد لله رب العالمين